رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

لا داعي للكبرياء (رومية ١١: ١٣-٢٤)

تأليف: دفيد روبر

تحول بولس في رومية ١١: ١٣-٢٤ من فكرته الرئيسية، في انحراف مثير للإنتباه وهام. قال قبل قليل أن رفض الله لإسرائيل اتاح فرصة لقبول الأمم (الآية ١١). ربما استخلص بعض الأمم أن السبب الذي من أجله رفض الله اليهود هو قبول الأمم (راجع الآية ١٩). كان اليهود شعب الله الخاص لمدة قرون قد اعتبروا أنفسهم أرفع مقاماً من الأمم. والآن قد تغيرت الحالة، وأصبح الأمم يعترفون بانهم أرفع مقاماً من اليهود.

لا نعلم لماذا تحدث بولس عن هذه المشكلة بالذات في رسالته إلى أهل رومية هذه. أحد الاحتمالات هو أن بولس عرف أن هناك احتكاك بين الأمم واليهود في الكنيسة التي كانت في روما، وكتب لكي يتعامل مع تلك الحالة[١]. كانت الحالة الروحية العامة للكنيسة التي في روما جيدة (راجع ١: ٨)، ولكن ليست هناك كنيسة كاملة. تكون هناك دائماً مجالات للتحسن. هناك احتمال آخر وهو أنه عندما كان بولس ينتقل خلال أرجاء الامبراطورية الرومانية، رأى هذه المشكلة في كنائس أخرى، فقدم توصية حتى لا يحدث مثل ذلك في روما. أو ربما كان الروح القدس يعرف أننا جميعاً نحتاج إلى تحذير شديد اللهجة لكي لا نشعر بالتفوق على الآخرين فأوحى إلى بولس لكي يكتب هذه الكلمات التي تم حفظها لأجلنا نحن اليوم.

في هذا النص تعامل بولس مع إحدى الخطايا الأكثر انتشاراً، أي: الكبرياء. تسمى الكبرياء بانها «الأرضية التي تنمو فيها جميع الخطايا الأخرى»[٢]. قال سي أس لويس ما يلي عن الكبرياء:

> هناك عيب واحد يتمثل في انه لا يوجد إنسان في العالم في حل منها؛ والذي يشمئز منه كل شخص في العالم عندما يراه في شخص آخر؛ ومن النادر أن يظن أي شعب بانهم مذنبون به ما عدا المسيحيين. لقد سمعت الناس يعترفون بانهم انفعاليين، أو انهم لا يستطيعون الكف عن اللحاق بالبنات والشرب، أو حتى بانهم جبناء. لا أعتقد انني سمعت قط شخص غير مسيحي يعترف بهذا العيب عن نفسه ... ليس هناك عيب يقلل من سوء سمعة الإنسان، وليس هناك عيب نحس به في أنفسنا. وكلما وجوده فينا كلما كرهناه في الآخرين[٣].

يقول أمثال ١٦: ١٨: «قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ». والصيغة المقتصرة المعتادة عند الناس هي: «قبل السقوط الكبرياء». عندما أسمع تلك الكلمات أتذكر قصة الضفدع الفخور الخرافية. أصبح الضفدع صديق لبطين. وفي أحد الأيام جفت البركة التي كانت تسكن فيها ثلاثتهم. يمكن للبطتين أن تطيرا إلى بركة أخرى في مكان آخر، ولكن ماذا عن صديقهما الضفدع؟ فقررت أن تطير البطتين بعصا بين منقارهما عصا، وأن يتشبث الضفدع على هذا العصا بفمه. وبينما كان الجميع يطير معاً، رآها مزارع فصاح إليهم قائلاً: «هذه فكرة ماهرة! يا ترى من الذي أتى بها؟» قال الضفدع أنا: «الذي أتيت بها» ... «الكبرياء قبل السقوط».

قد نواجه جميعاً مشكلة الكبرياء في أنفسنا في وقت ما أو في آخر. في دراستنا هذه، أرجو ألا نركز على المسيحيين الأمم في أيام بولس فحسب، بل لنفحص قلوبنا. سيثبت نص درسنا هذا انه لم يكن

---

[١] البعض مقتنعين أن هذا كان السبب الرئيسي الذي من أجله كتب بولس هذه الرسالة.

[٢] وليم باركلي، تم اقتباسه من كتاب روبرت مورغن بعنوان «Nelson's Complete Book of Stories, Illustrations, & Quotes»، صفحة ٦٣٣.

[٣] سي اس لويس في كتابه بعنوان «Mere Christianity»، صفحتي ١٠٨ و١٠٩.

لمسيحي القرن الأول أن يكونوا متكبرين - ولا يجب لنا نحن أيضاً.

لأن رفض اليهود لم يكن نهائياً (١١: ١٣-١٦)

رسالة شخصية

يبدأ نص درسنا هذا بكلام بولس القائل: «فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ ...». يوجه بولس حديثه من هذه النقطة وحتى نهاية هذا الأصحاح إلى المسيحيين الأمم بصفة خاصة.

أراد أولاً أن يعرف هؤلاء الأمم انه ليس هناك سبب للكبرياء لأن رفض اليهود لم يكن نهائياً. ظل الله يهتم باليهود، وكان مستعداً أن يقبلهم مرة أخرى إن تابوا عن عنادهم وآمنوا بيسوع. قال بولس: «... بِمَا أَنِّي أَنَا رَسُولٌ لِلأُمَمِ {راجع ١: ١ و٥؛ ١٥: ١٦} أُمَجِّدُ خِدْمَتِي، لَعَلِّي أُغِيرُ أَنْسِبَائِي وَأُخَلِّصُ أُنَاسًا مِنْهُمْ» (١١: ١٣ و١٤). كانت خدمة بولس الإساسية هي للأمم، ولكنه كان قلق جداً بخصوص أبناء وطنه (راجع ٩: ١-٣؛ ١٠: ١) واعتبر خدمته «ممجدة» عند إهتداء اليهود أيضاً.

عبر بولس مرة أخرى في الآيتين ١٣ و١٤ بالرجاء أنه عندما يرى اليهود أن الأمم يتمتعون بفوائد الملكوت المسياني سيمتلؤون «غيرة» (رغبة شديدة) في الحصول على البركات نفسها - فيثاروا ليؤمنوا بيسوع[٤]. لم يتوقع إهتداء جميع اليهود، بل كان يرجو أن «{يخلص} أُنَاسًا مِنْهُمْ» (قارن مع ١ كورنثوس ٩: ٢٠ و٢٢).

استمر قائلاً: «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ {رفض اليهود من قبل الله} هُوَ مُصَالَحَةَ {عالَم الأمم}، فَمَاذَا يَكُونُ {اقتبال اليهود} إِلاَّ حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ؟» (رومية ١١: ١٥). في الآيتين ١٤ و١٥ نجد مرة أخرى تسلسل الأحداث المذكورة في درسنا السابق. عندما رفض اليهود الإنجيل، رفضهم الله. وقد أدى هذا إلى فرصة لتبشير الأمم بالإنجيل، مما أدى إلى مصالحة (خلاص) الأمم الذين استجابوا إلى الإنجيل (الآية ١٥). تمنى بولس أن اليهود الذين يرون أن الرب قبل الأمم يرغبون هم أيضاً في الخلاص (الآية ١٤).

رفض اليهود (من قبل الله)
↓
قبول الأمم (من قبل الله)
↓
قبول اليهود (من قبل الله)

قال بولس انه إذا حدث ذلك، «... مَاذَا يَكُونُ اقْتِبَالُهُمْ {أي اليهود} إِلاَّ حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ؟» (الآية ١٥). استخدم بولس عبارة «حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ» كمجاز لافت للنظر عن خلاص اليهود (الآية ١٤). كان يقصد قيامة روحية وليست قيامة جسدية (راجع رومية ٦: ٤ و٥). أتذكر أبو الابن الضال الذي قال عند رجوع ابنه إليه: «لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ ...» (لوقا ١٥: ٢٤).

يفسر البعض الأصحاح ١١ بانه يضع التوكيد على الأحداث التي تسبق المجيء الثاني للمسيح مباشرة. ويستخلصون أن عبارة «حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ» الواردة في الآية ١٥ تشير إلى قيامة الأجساد لجميع البشر عند المجيء الثاني للمسيح. قال ليون موريس أن «الكلمات التي استخدمها بولس هنا لم تُسْتَخْدَم في أي مكان آخر لتشير إلى قيامة الأجساد»[٥]. وقال والتر دبليو ويسل أنه «لا يوجد في السياق ما يدل على انه يتحدث عن قيامة الأجساد»[٦]. أشار وليم هندريكن إلى محتوى الآيات قبل وبعد رومية ١١: ١٥ واستخلص أنه «لا يفي بالغرض، إذن تفسيرهم للنص المعترض حسب ما يقبلونه ... أن

---

[٤] راجع حوارنا حول الآية ١١ في الدرس الذي بعنوان «هل يستغنى الله عن الخطاة؟ (١١: ١-٢١)».

[٥] ليون موريس في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٤١١. أضاف موريس الحاشية التالية: «استخدم بولس العبارة 'ζωὴ ἐκ νεκρῶν' ولكنه تحدث عن القيامة الأخيرة باستخدام العبارة 'ἀνάστασις νεκρῶν' (١ كورنثوس ١٥: ١٢ إلخ).

[٦] والتر دبليو ويسل في مذكراته عن الرسالة إلى أهل رومية «The NIV Study Bible, ed»، صفحة ١٧٢٣.

عبارة «حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ» تشير إلى ما يتوقع البعض انه يحدث عند نهاية العالم»[٧].

لم يكن بولس يتحدث عن نهاية العالم، بل كان يتحدث عن أحداث ذات صلة بالزمان الذي كان يعيش فيه. عندما كان يفكر بخلاص رفقاءه اليهود، المجاز المناسب جداً الذي أتى بباله هو «حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ»، هناك تشبيه مماثل لهذا في رؤيا حزقيال الحي بما يختص بتجديد إسرائيل (حزقيال ٣٧: ١-١٤).

قبل ان ننتقل إلى الآية ١٦، قد تكون هناك قيمة في مقارنة الآيتان ١٢ و١٥. تقول الآية ١٢: «فَإِنْ كَانَتْ {زلة اليهود} غِنىً لِلْعَالَمِ، وَنُقْصَانُهُمْ غِنىً لِلأُمَمِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ مِلْؤُهُمْ!» وتقول الآية ١٥: «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ {رفض اليهود} هُوَ مُصَالَحَةَ الْعَالَمِ، فَمَاذَا يَكُونُ اقْتِبَالُهُمْ إِلاَّ حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ؟» تتحدث الآية ١٢ عما فعل اليهود، بينما تتحدث الآية ١٥ عواقب ما فعلوا. لنضع هاتين الآيتين معاً الآن: نرى أن زلة اليهود ونقصانهم (الآية ١٢) أديا إلى رفضهم من قبل الله (الآية ١٥)، بينما ملؤهم (الآية ١٢) أدى إلى قبولهم من قبل الله. كما ذكرنا في حديثنا عن ١١: ١٢، كلمة «ملء» في هذا السياق لها صلة مع تتميمهم لقصد الله. ليس لهذا علاقة مع عدد تخيلي كامل، كما يقول البعض[٨].

رفض اليهود (من قبل الله)
↓
قبول الأمم (من قبل الله)
↓
قبول اليهود (من قبل الله)

مجاز استفزازي

استخدم بولس في الآية ١٦ مجازين ذات صلة برجوع اليهود إلى الرب. أولاً، استخدم مثال احتفالي: «وَإِنْ كَانَتِ الْبَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذلِكَ الْعَجِينُ! ...» (الآية ١٦). كان جزء العجين المصنوع من باكورة الغلال (أول الحصاد) في زمان العهد القديم، يُقدم إلى الرب (راجع سفر العدد ١٥: ١٧-٢١). وكان هذا العمل يقدس العجين كله لكي يستخدمه الشخص الذي جاء بالتقدمة. إذا كان المجازان اللذان قدمهما بولس في رومية ١١: ١٦ متوازيان، و«الباكورة» هي نفسها مثل «الأصل»، فقد تشير عبارة «الباكورة» إلى آباء اليهود - وإلى إبراهيم بصفة خاصة. ولأن الآباء كانوا قديسين، كان الله يعتبر نسلهم (الذين تبعوا مثال إيمانهم) مقدسون أيضاً.

بعد ذلك استخدم بولس مثال زراعي، قائلاً: «... وَإِنْ كَانَ الأَصْلُ مُقَدَّسًا فَكَذلِكَ الأَغْصَانُ!» (الآية ١٦). هناك شيء من عدم الوفاق بخصوص من يكون «الأصل». قد يقول الكثير من الناس أن «الأصل» هو الله نفسه. وآخرون يظنون انه خطة الله الخلاصية. عند وضع هذا التعبير بكامله في الاعتبار (الآيات ١٦-٢٤)، قد يكون من الأفضل اعتبار «الأصل» بانه يشير إلى «الأباء» (راجع الآية ٢٨) - وإبراهيم بصفة خاصة الذي كان قد نال الوعود أصلاً {من الله}. طبعاً ليس هناك تضارب كبير بين الخيارات المذكورة: أُعْلنت خطة الله الفدائية عندما وعد الله إبراهيم والاباء الأخرين بوعود ثمينة. إذا كان بولس يقصد إبراهيم بصفة خاصة، فنهاية الآية ١٦ قد تعني شيء مثل هذا: «إن كان الأصل {إبراهيم} مقدساً فكذلك الأغصان أيضاً {الذين يسلكون في خطوات إبراهيم (٤: ١٢)}».

استمر بولس بوضع التوكيد في الآيات من ١٣ إلى ١٦ الحقيقة التي انتهى بها القسم السابق: لم يكن رفض اليهود نهائيا. ما دام باب الخلاص ظل مفتوحاً لليهود، لا يكون للأمم الذي دخلوا من خلال ذلك الباب أي أساس للإحساس بالتفوق.

لأن قبول الأمم لم يكن مستحقاً (١١: ١٧ و١٨)

السبب الثاني الذي لا يجب أن يجعل الأمم متكبرين هو أنهم لم يستحقوا ما عمله الله لأجلهم؛ كان قبولهم على إساس النعمة فقط. كان بولس يصرح بهذه الحقيقة عادة (راجع على سبيل المثال ٣: ٢٤)، ولكنه في هذه المرة استخدم طريقة غير معتادة إلى الفكرة

---

[٧] وليم هندريكسن في تفسيره بعنوان «Exposition of Paul's Epistle to the Romans» من مجلد «New Testament Commentary»، صفحة ٣٧٠.

[٨] سنتحدث عن هذا بتفصيل أكثر عند دراستنا لرومية ١١: ٢٥ و٢٦.

١- قُطِع الغصن ٢- شق الجذل ٣- إدخال الغصن ٤- الربط معاً

الرئيسية -وطريقة غير معتادة بتعرج غير متوقع.

تشبيه

إشارة بولس إلى «الأصل» و«الأغصان» في الآية ١٦ حثته على استخدام تشبيه أوسع[٩] بما يختص بتطعيم الأغصان مع شجرة الزيتون. بدأ قائلاً: «وَإِنْ كَانَتِ الْبَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذلكَ الْعَجِينُ! وَإِنْ كَانَ الأَصْلُ مُقَدَّسًا فَكَذلكَ الأَغْصَانُ!» (١١: ١٦). كانت شجرة الزيتون مألوفة لدى الذين كتب إليهم بولس، ولكنها غير مألوفة لكثيرين منا اليوم. يجب أن نعرف شيء عن شجرة الزيتون والتطعيم. تُرى أوراقها الخضراء الرمادية في كل مكان حول البحر الأبيض. كان الزيتون المصدر الأساسي للزيت المستخدم في الطبخ والعلاج الطبي ولأغراض أخرى. كانت أشجار الزيتون البري أقوى من أشجار الزيتون المزروعة، ولكن الأشجار المزروعة تنتج ثماراً أكبر حجماً وأكثر عدداً.

التطعيم هو عملية التحام نوعين من النباتات. في الاجراءات العادية، يُقْطَع غصن من شجرة تاركاً بضع بوصات من الجذع. يُشق الجذع. وبعد ذلك يُقطع غصن صغير من شجرة أخرى بحيث يجعل الطرف المقطوع من الغصن على شكل إسفين. يُحشر هذا الإسفين في الشق الذي في الجذل الذي في الشجرة الأولى. يُربط الاثنين معاً لجعل الشجرة والغصن {الجديد} ينموان معاً. لا تؤدي عملية التطعيم دائماً إلى غصن سليم؛ ولكن إذا تمت هذه العملية بطريقة جيدة، تنجح عادة.

بما يختص بشجر الزيتون، كان تطعيم أغصان الأشجار البرية مع أغصان الأشجار الأليفة شي شائع لكي تستفيد الأغصان من قوة الشجرة البرية. كان من النادر تطعيم غصن من الشجرة البرية إلى شجرة الزيتون المزروعة[١٠]. ومع ذلك تناسبت تلك العملية مع هدف بولس، لهذا كتب عن العملية التي (حسب قوله) «بِخِلاَفِ الطَّبِيعَةِ» (الآية ٢٤).

عند استمرارنا في دراسة هذا النص، تصور شجرة زيتون مزروعة. تمثل هذه الشجرة شعب الله. وتمثل بصفة خاصة الذين كانوا شعب الله المختار. كانت شجرة الزيتون في زمان العهد القديم ترمز إلى إسرائيل (راجع إرمياء ١١: ١٦ و١٧؛ هوشع ١٤: ٤-٦). كان الله قد «زرع» إسرائيل (معطياً هذه الأمة اعتبار خاص) بينما كان يعمل على تتميم خططه ليأتي بالمسيا إلى العالم.

تبدأ رومية ١١: ١٧ هكذا: «فَإِنْ كَانَ قَدْ قُطِعَ بَعْضُ الأَغْصَانِ ...» (الآية ١٧). كانت الأغصان التي «قُطعت» «مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الإِيمَانِ» (آية ٢٠) هم اليهود. كلمة «بعض» هنا هي تعبير أقل مما تقتضيه الحقيقة إذ أن معظم اليهود «الأغصان» قد قُطعت بسبب عدم إيمانهم بيسوع.

تستمر الآية ١٧: «... وَأَنْتَ زَيْتُونَةٌ بَرِّيَّةٌ طُعِّمْتَ فِيهَا ...». تشير كلمة أنت هنا إلى المسيحيين الأمم (الآية ١٣). يسمى مصدرهم بزيتونة برية (الآية ٢٤) لأن في زمان العهد القديم لم ينال الأمم انتباه الله الخاص الذي كان قد ناله اليهود. والآن قد أعطيت للأمم فرصة للمشاركة في خطط الله ومقاصده الأخيرة. لقد «طُعمت» الأمم الذين قبلوا يسوع وطريقه مع اليهود الذين آمنوا.

---

[٩] يشير بعض المفسرون إلى هذا بانه «مثل»، بينما آخرون يفضلون استخدام الكلمة «استعارة».

[١٠] حسب الكُتَّاب القدماء، كان يتم عمل هذا أحياناً من أجل إحياء وانتعاش الشجرة المطعمة.

تنتهي الآية ١٧ هكذا: «... فَصِرْتَ شَرِيكًا فِي أَصْلِ الزَّيْتُونَةِ {اليهود الذين آمنوا} وَدَسَمِهَا». كما في الآية ١٧ هكذا أيضاً يمكن اعتبار «الأصل» هنا كالآباء، وإبراهيم بصفة خاصة الذي اعطاه الله الوعود. تشير كلمة «دسمها» في هذه الآية إلى المواد الغذائية التي تسري من الجذور إلى الساق وإلى الأغصان.

التطبيق

استعد بولس لاعطاء التطبيق. قال لقُرَّاءه الذين من الأمم: «فَلاَ تَفْتَخِرْ عَلَى الأَغْصَانِ ...» (الآية ١٨). كلمة «تفتخر» هنا هي من اليونانية «كاتاكاوخاوماي κατακαυχάομαι» («كاوخاوماي καυχάομαι») ومعناها «يتكبر» مشددة بـ«كاتا κατά»). وكلمة «الأغصان» هنا قد تعني اليهود الذين «قُطعوا» بسبب عدم إيمانهم. ولكنها ربما تشير أيضاً إلى اليهود بصفة عامة – بما في ذلك «الأغصان الطبيعية» (الآية ٢١). أي اليهود المسيحيين الذين ظلوا «في الشجرة». كما ذكرنا في المقدمة، كان لليهود كبرياء نحو الأمم في الماضي؛ واما الآن أصبحت الحالة بالعكس. من السهل تصور أممي متكبر يقول ليهودي: «لقد رفضكم الله وقبلنا!

حطم بولس كبرياء الأمم إذ قال: «... وَإِنِ افْتَخَرْتَ، فَأَنْتَ لَسْتَ تَحْمِلُ الأَصْلَ، بَلِ الأَصْلُ إِيَّاكَ يَحْمِلُ!» (الآية ١٨). لم تسري المواد الغذائية من الأغصان إلى الجذور، بل من الجذور إلى الأغصان. قال بولس في الواقع للمسيحيين الأمم: «ليس هناك شيء في ماضيكم يستفيد منه اليهود، بل أنتم الذين تستفيدون الآن من وعود قُطعت منذ وقت بعيد مع أجداد اليهود». كان على المسيحيين الأمم أن يدركوا أن البركات الروحية التي كانوا يتمتعون بها مغروسة في أرض اليهود. قال يسوع للمرأة السامرية أن «الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ» (يوحنا ٤: ٢٢).

أراد بولس من كتابة هذا الجزء من الرسالة إلى أهل رومية أن يتضع قُرَّاءه الذين من الأمم البركات التي كانوا يتمتعون بها لم يستحقوها ولم يحصلوا عليها بالجدارة. بالنعمة «طعمهم» الله وجعلهم جزء من الخطط والمقاصد التي أنجزها بواسطة الأمة اليهودية. لم يكن للمسيحيين الأمم أي سبب للكبرياء.

لأن قبول الأمم لم يكن متعذر إلغاؤه (١١: ١٩-٢٢)

الخضوع (الآيتان ١٩ و٢٠)

توقع بولس اعتراض من المسيحين الأمم: «فَسَتَقُولُ: «قُطِعَتِ الأَغْصَانُ لأُطَعَّمَ أَنَا!» (الآية ١٩). تشير صياغة هذا الاعتراض أن بعض الأمم كانوا يظنون أن السبب من «قطع» اليهود هو لإفساح المجال للأمم. لم يكن ذلك صحيح. قطع اليهود بسبب إخفاقهم في الإيمان (الآية ٢٠). حتى ولو كان كل يهودي قد آمن، لظل هناك مكاناً «في الشجرة» للأمم المؤمنين.

إذا كان الحال هكذا، قد نتوقع أن تكون ستجابة بولس في الآية ٢٠ سلبية، وليست إيجابية – ولكن تبدأ هذه الآية بكلمة «حَسَنًا!»، ثم تبعتها عبارة: «... مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الإِيمَانِ قُطِعَتْ، وَأَنْتَ بِالإِيمَانِ ثَبَتَّ ...» (الآية ٢٠). ربما وافق بولس مع جزء فقط من التصريح السابق: الحقيقة أن اليهود قُطعوا وطُعم الأمم. وهذا يجعل الجزء الأول من الآية ٢٠ تقول شيء مثل هذا: «صحيح أن الأغصان قُطعت، ولكن لم يحدث هذا من أجل أن تُطعم، بل قُطعوا لأنهم لم يؤمنوا».

قُطع اليهود «مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الإِيمَانِ» ولكن الأمم ثبتوا بالإيمان. كان الإيمان الشيءَ الأساسي. بسبب إيمان الأمم، تم تطعيمهم في شجرة تين مزروعة {أليفة}، وهم الآن جزء من الشجرة. «ثبتوا» لأنهم ظلوا يؤمنون.

تحذير (الآيات ٢٠-٢٢)

يعود بنا هذا إلى الفكرة الرئيسية لهذا الدرس. قال بولس: «... لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ!» (الآية ٢٠). ينصح بولس كل مسيحي في الأصحاح التالي «أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ ...» (١٢: ٣). في الواقع، قال بولس لقُرَّاءه الذين من الأمم: «لا تستكبروا، بل خافوا» (راجع ١١: ٢٠).

كلمة «خف» في هذه الآية هي من «فوبي φοβέω»

لا تدل ضمناً على الخوف الذي يجمد، بل تشير إلى خوف يقوي وخوف صحي من عواقب عدم الإيمان[١١]. استمر بولس قائلاً: «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ {أي اليهود} فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ {الأممي} أَيْضًا!» (الآية ٢١). «قطع» الله اليهود لأنهم لم يؤمنوا. إذا كان الحال هكذا، فانه لم يتردد في أن «يقطع» الأمم إذا كفوا عن الاستمرار في الإيمان.

تبدأ الآية التالية بوصف كلاسيكي لوجهين من شخصية الله: «فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ ...» (الآية ٢٢)[١٢]. كتب ويسل ما يلي: «يجب أن يشمل كل تعليم مذهبي صحيح عن الله هذين العاملين. عندما نتغاضى عن لطفه، يبدو الله كما لو انه حاكم مستبد؛ وعندما نتغاضى عن صرامته يبدو كما لو كان أباً شغوفاً»[١٣].

قال بولس: «فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا {اليهود غير المؤمنين}، وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ {الأممي المؤمن}، إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ ...» (الآية ٢٢). ثم أضاف هذه الكلمات الموقظة: «... إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضًا سَتُقْطَعُ» (الآية ٢٢). تشير العبارة «إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ» إلى الاستمرار في الإخلاص لكي يستمروا في الاستمتاع بالبركات المعطاة لهم بلطف الله. (كلمة «إيمان» هي صيغة شاملة كالعادة – بما فيها الطاعة من القلب {رومية ٦: ١٧؛ راجع ١: ٥؛ ١٦: ٢٦}).

كتب دوغلاس جاي موو أن الآيات التي نحن بصددها «تمثل أحد التحذيرات الصارمة عن الاستمرار في الإيمان الذي يوجد على صفحات كتاب العهد الجديد»[١٤]. لم يكن للمسيحيين الذين من الأمم أي سبب للكبرياء لأن قبول الله لهم لم يكن بلا رجعة. إن لم يستمروا في لطف الله، فهم أيضاً سيُقطعون كما قُطع اليهود غير المؤمنين. قال بيترسون: «حالما تصبح غصن ميت، تُقطع!».

لأن قبول اليهود ما زال ممكناً (١١: ٢٣ و٢٤)

الإمكانية الموجودة في الإنسان

بما يختص بنعمة الله، كان اليهود في زمان العهد القديم وأغلبية الأمم «في الخارج» (راجع أفسس ٢: ١٢). في الزمان الذي كُتبت فيه الرسالة إلى أهل رومية كان معظم الأمم «في الداخل» بينما كان معظم اليهود «في الخارج». ولكن قد تتغير تلك الحالة أيضاً. بعد ما قال بولس انه يمكن «قطع» المسيحيين الأمم، قال: «وَهُمْ {أي اليهود} إِنْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَدَمِ الإِيمَانِ سَيُطَعَّمُونَ ...» (الآية ٢٣). لم يوصد الله البَاب على اليهود ولم يقفله عنهم كي لا يرجعوا.

ضع خط تحت كلمة «إِنْ» في الآية ٢٣. لم يقل بولس «**عندما** لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَدَمِ الإِيمَانِ سَيُطَعَّمُونَ»، بل قال **إن** لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَدَمِ الإِيمَانِ سَيُطَعَّمُونَ». قال هندركسن أن «{بولس} الرَسولَ لَم يقل انه في يوم ما سيطعم جميع اليهود غير المؤمنين مرة أخرى في زيتونتهم، ويخلصون»[١٥]. عندما ندرس الآية ٢٦ سنقول أنه لا يوجد في هذه الآية ما يناقض التعليم الواضح في الآية ٢٣. اليهود مثلنا لهم حرية الخيار، قد يختاوا الإيمان أو عدم الإيمان.

الذين ينادون بعقيدة «استحالة الردة» يتحَدُّون أحياناً الذين يعلمون انه يمكن للمسيحي أن يخطيء ويسقط. يقولون بسخرية: «أتقول انه يمكن للمؤمن أن يضل؟» يجب على هؤلاء أن يتأملوا بحرص في ما قاله بولس في الآيات التي ندرسها الآن. لقد أوضح انه يمكن لغير المؤمن أن يكون مؤمناً ويخلص (الآية٢٣) – وبانه

---

[١١] نحتاج إلى خوف قوي وصحي من النار حتى يمنعنا من أن نضع أيادينا في اللهب. ولكن الخوف الشديد من النار بحيث يمنعنا من الاقتراب إليها، يكون ذلك خوف غير صحي (الخوف الذي يجمد).

[١٢] يعبر الصليب عن لطف (محبة) الله بينما يرضي صرامة (عدل) الله. تم الحديث عن هذا في الدرس بعنوان «ثلاث كلمات صغيرة (٣: ٢٤– ٢٦).

[١٣] والتر دبليو ويسل في مذكراته عن الرسالة إلى أهل رومية «The NIV Study Bible, ed»، صفحة ١٧٢٣.

[١٤] دوغلاس جاي موو في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ٣٦٨.

[١٥] وليم هندريكسن في تفسيره بعنوان «Exposition of Paul's Epistle to the Romans» من مجلد «New Testament Commentary»، صفحة ٣٧٦.

يمكن للمؤمن أن {يفقد إيمانه} ويصبح غير مؤمن فيضل (الآيات ٢٠-٢٢).

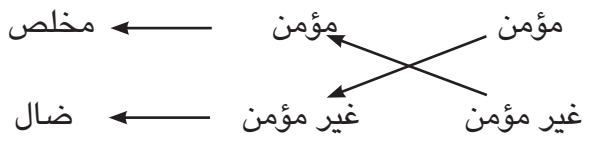

كما قلتُ سابقاً، حتى بعد ما نصبح مسيحيين نبقى أحراراً في خياراتنا. قد «نثبت في لطف الله»، أو قد نقرر أن لا نعيش بحسب مشيئته. ما هي علاقة هذا بموضوع الكبرياء الذي نحن بصدده؟ قال أف أف بروس أن روح الكبرياء قد يجعلنا ننسى اعتمادنا على النعمة الإلهية ونبدل إيماننا بالله مع الثقة بالنفس. إذا حدث هذا، قد «نُقْطَع» نحن أيضاً[١٦]. يطالب بولس كل منا قائلاً: «جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ؟ ...» (٢ كورنثوس ١٣: ٥).

قوة إلهية

بعد ما قال بولس أن الله سيطعم اليهود مرة أخرى {في زيتونتهم}، أضاف:

> ... لأَنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُطَعِّمَهُمْ أَيْضًا. لأَنَّهُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ قُطِعْتَ مِنَ الزَّيْتُونَةِ الْبَرِّيَّةِ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ، وَطُعِّمْتَ بِخِلاَفِ الطَّبِيعَةِ فِي زَيْتُونَةٍ جَيِّدَةٍ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُطَعَّمُ هؤُلاَءِ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ،فِي زَيْتُونَتِهِمِ الْخَاصَّةِ؟ (رومية ١١: ٢٣ و٢٤).

يخبرنا المنطق أن التطعيم في أغصان «طبيعية» (اليهود) أسهل من تطعيم أغصان «غريبة» (الأمم).

يثور بعض المفسرون عند هذه النقطة من هذا النص ويعترضون قائلين أن البستاني لا يقطع الأغصان غير المثمرة (راجع يوحنا ١٥: ٢) ومن ثم يحاول في ما بعد تطعيمها مرة أخرى. يقولون أيضاً أن الغصن المقطوع من الساق ييبس سريعاً فلا يصلح إلا للوقود (راجع يوحنا ١٥: ٦)؛ ويستحيل تطعيمه أيضاً. انهم يعتبرون بولس كمن تربى في المدينة ولا يعرف شيئاً عن البستنة (علم الزراعة). أقول لهؤلاء أولاً: «لا تثوروا هكذا. فان هذا مجرد مثال توضيحي». كان قصد بولس هو تعليم حقائق إلهية، وليس أعطاء محاضرة عن البستنة. قدم يسوع ذات مرة مثل عن السيد الذي غفر لعبده دين يقدر بملايين الدولارات (متى ١٨: ٢٣-٢٧)، قد لا يحدث هذا! أهذا يعني أن يسوع لم يكن يعرف علاقة السيد بالعبد في أيامه؟ كلا، بل كان ذلك مجرد مثال توضيحي.

ثانياً: لا يقول هذا النص أن «الإنسان قادر أن يطعمها مرة أخرى»، بل أن «الله هو القادر أن يطعمهم أيضاً». الكلمات الواردة في إنجيل متى ١٩: ٢٦ مناسبة هنا: «هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ». بما أن الرب يحي الموتى (رومية ١١: ١٥)، لا شك انه يحي أيضاً الغصن اليابس لكي يطعمه مرة أخرى.

هل كان للمسيحيين الأمم أي سبب ليفتخروا على اليهود لأنه تم قبولهم بينما تم رفض معظم اليهود؟ كلا، لأنه قد تنقلب الحالة مرة أخرى بسهولة. ما زال قبول اليهود ممكناً - إن رجعوا عن عدم الإيمان.

الخلاصة

لقد شددنا في هذا الدرس على انه ليس للأمم سبب للافتخار - وليس لنا سبب للإفتخار. كلنا خطاة لا نستحق غير الموت (رومية ٣: ٢٣؛ ٦: ٢٣). نحن مخلصين بنعمة الله، وليس بسبب عمل استحقاق شخصي من جانبنا. كتب أيزك واتس ما يلي:

> عندما أفحص الصليب العجيب
> الذي مات عليه رئيس المجد،
> احسب ربحي الكبير خسارة
> وسفك الخزي على كبريائي[١٧].

---

[١٦] مأخوذ من أف أف بروس في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من مجلد «The Tyndale New Testament Commentaries»، صفحة ٢٠٥.

[١٧] أيزك واتس في ترنيمة إنجليزية بعنوان «When I Survey the Wondrous Cross».

كتب بطرس أن «اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً». فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ» (١ بطرس ٥: ٥ و٦).

عند ختام هذا الدرس قدم الرسالة التالية للذين ليست لهم علاقة قويمة مع الله. إن لم تكن قد سلمت حياتك لله، قد تجد انه من الصعب أن تتضع بنفسك لتتوب عن خطاياك وتخضع لأمر الرب (أعمال ١٧: ٣٠؛ مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٢: ٣٨). وإن كنت مسيحي ضال، قد يصعب عليك الاعتراف بخطاياك، توب وأطلب من الآخرين أن يصلوا من أجلك (١ يوحنا ١: ٩؛ أعمال ٨: ٢٢؛ يعقوب ٥: ١٦). أتوسل إليك أن لا تسمح للكبرياء أن يمنعك من السماء.

استخدام بولس للعهد القديم

عادة ما أقتبس بولس من العهد القديم في رسالته إلى أهل رومية. ولكن يظهر هذا بأكثر وضوح مما ورد في القسم عن «مشكلة اليهود»(الأصحاحات ٩ إلى ١١). ليس من السهل دائماً معرفة ما إذا كان بولس يقتبس من العهد القديم أم يستخدم فقط مصطلحات مشابهة لما ورد بنصوص العهد القديم. لهذا لا نعلم اليقين كم يوجد من الاقتباسات في الآيات من ٩ إلى ١١. تتراوح التقديرات من بين عشرين إلى ثلاثين - ولكن يوافق جميع المفسرون أن بولس اقتبس كثيراً من العهد القديم في هذه الأصحاحات الثلاثة.

أرجو أن تفحص نصوص العهد القديم الذي نحن بصددها، ستجد أن بولس أحياناً يقتبس النص أقرب أو أقل من أن يكون كلمة بكلمة (من الترجمة السبعينية بصفة عامة). وأحياناً أخرى يعيد صياغة نص العهد القديم. وأحياناً أخرى أيضاً يقدم فقط الفكرة الأساسية للنص. وفي بعض المناسبات يجمع بين النصوص. علاوة على ذلك، كان يعطي عادة لآيات العهد القديم معنى جديدة مما كان في الأصل.

بما يختص باستخدام بولس للعهد القديم في هذا القسم، في ما يلي ثلاث ملاحظات:

(١) كان هدف بولس الأساسي هو أن يقنع اليهود بان الله لم يتراجع عن وعده لهم. لهذا كان يشير إلى السلطة التي كانوا يعترفون بها (أي العهد القديم)، واستخدم المنطق الذي كانوا يعرفونه. كتب ريشارد باتي أن استخدام بولس للعهد القديم كان ينسجم مع الوسيلة التي كان يستعملها الأحبار للتفسير في في ذلك الزمان. لا بد ان حُججه واستخدامه للأسفار المقدسة كانت مقنعة جداً لكثيرين من رفقائه اليهود في القرن الأول»[١].

(٢) لم يكن استخدام بولس للأسفار المقدسة مختلفاً كثيراً عن الطريقة التي نستخدمها بها اليوم. نستخدم نصوص متفرقة من هنا وهناك، ونوسع تطبيق النص ليغطي المشاكل الموجودة في يومنا هذا («البيت المنقسم على ذاته لا يقدر أن يثبت»؛ راجع مرقس ٣: ٢٥). وقد نأخذ تعابير من الأسفار المقدسة ونستخدمها كمجاز، كما هو الحال مع «السامري الصالح» (راجع لوقا ١٠: ٢٥-٣٧).

(٣) كان بولس موحى إليه من قبل الله. كان يعرف بالروح ما هي التطبيقات المناسبة التي يمكن تقديمها من العهد القديم. بما اننا نحن اليوم غير موحى إلينا، ينبغي أن نكون حذيرين بخصوص التطبيق الذي نقدمه من نصوص العهد القديم.

---

[١] ريشارد أ باتي في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من سلسلة «The Living Word Commentary series»، صفحتي ١٣٣ و١٣٤.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠